الكندي والسريانية

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܚܝܒܐ ܒܝܬ ܡܦ̈ܩܐ
ܘܕܝܢܐ ܡܢ ܩܕܡ ܡܠܟܘܬܐ ܘܫܡܝܐ ܕܢܗܘܐ ܚܠܦ ܐܘ
ܒܝܬ ܠܗ ܗܟܢܐ ܟܠ ܕܢܗܘܐ ܗܘܐ ܠܗ ܗܟܢܐ ܒܝܬ
ܠܚܪ̈ܡܘܗܝ ܒܥܦܐ ܕܢܩܒܠ ܠܗ ܠܥܘܠܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

الكندي والسريانية

بقلم

اغناطيوس يعقوب الثالث
بطريرك انطاكية وسائر المشرق

وهو

البحث الذي القاه في الاحتفالات الالفية لبغداد
والكندي في السادس من شهر كانون الاول ١٩٦٢

١٩٦٣

يحقّ للجمهورية العراقية الجليلة أن تفاخر أمم الارض قاطبة بكونها وارثة الثقافة العالمية الاولى ، التي ولدت وترعرعت فوق أديمها منذ عهد عهيد موغل في القدم . ويليق بعاصمة الرشيد ان ترفل بحلة باذخة ، وتتهادى في دنيا العرب ، لا سيما في هذا الوقت الذي تزدحم فيه ذكريات الماضي الخالدات ، اذ تسنمت في العصور الخوالي ذروة الحضارة ، واحتلت من الثقافة مكان الصدارة ، وما ازدحم العلم في صدر مدينة عربية ازدحامه فيها ، بل مذ فتحت عينيها على النور ، فاذا في عينيها نور المعرفة ، حتى غدت قِبلة الانظار وكعبة القصاد ومحط الاحلام والآمال . فلا غرو اذا ما زحفت اليوم قوافل الادباء وقادة الفكر من كل حدب وصوب ، يُغذون السير اليها ، وفي نفوسهم شوق مُلحّ الى الاسهام في احتفالاتها الالفية تكريماً لذكرى تأسيسها وتخليداً للفيلسوف الكندي ، ولسان حالهم : انها خليقة أن تتهافت عليها المواكب . ولا شك في أن الاجيال اللاحقة ستذكر بالتجلة والاكبار عمل اللجنة الموقرة القائمة بهذه الاحتفالات الرائعة . وانه ليحلو لنا ان نسهم بهذه الكلمة وموضوعها «الكندي والسريانية» .

والكندي هو من علمت ، عالم أمته ، وإمام عصره غير مدافَع ، أوغل في مختلف العلوم اليونانية ، العلمية منها والفلسفية والطبيعية والرياضية والإلهية ، حتى استجلى غوامضها واستقرأ دقائقها وملأ منها وِطابه ، فاستضاء من ثم بمشكاته من تقفاه . والحق ، لم يسبقه أحد بين العرب في معالجة هذه العلوم التي رفعت له اسماً بلغ

السهى ، فأصبح ممن يُرمَى بالابصار ، حتى لُقِّب بفيلسوف العرب على الاطلاق .

للكندي مصنفات ورسائل كثيرة ، ولكن ما انتهى الينا من ذلك الا قِـلة ، ومـع هذا ففي هذا القليل ثروة ضخمة . كيف لا والكندي أول بانٍ في صرح الفلسفة العربية ، أي اول علماء العرب الذين اطلعوا على مناحي الفكر اليوناني ، وشغفوا بمختلف العـلوم النظرية والعقلية والتجريبية ، شرحاً وتعليقاً ونقداً ، بل وضعاً ونحتاً للتعابير العلميـة والتعاريف الفلسفية . ورسـالته في حدود الاشـياء ورسومها ، تشـهد له ببسطة الذراع وبراعة اليراع . وهنا يعترضنا السؤال التالي : كيف نهض الكندي بهـذا العمل الخطير ؟ هل عرف اليونانية التي فجَّرت لنـا هذه العلوم ، أم السريانية التي كانت وقتئذ أداة طيّعة لخدمة الفكر اليوناني ونقله الى الشرق الاوسط ؟ . قال الاستاذ احمد فؤاد الاهواني « ان الغموض والتواء التعبير ومجافاة روح العربية الغالب على أدب الكندي ، مرجعه الى طول النظر في الكتب اليونانية والسريانية »(١) وارتأى الاستاذ محمد لطفي جمعـة « انه كان ملماً باحدى هاتين اللغتين الذائعتين لذلك العهد »(٢) . أما نحن فنقول ان إلمامه باليونانية ليس ثابتاً وذلك :

اولاً : لان الدروس اليونانية كانت قد خملت في بلاد الشرق

(١) مقدمته لكتاب الكندي الى المعتصم بالله في الفلسفة الاولى ص ١٧ و ٣٥ .

(٢) تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب ص ١ و ٩ .

منذ النصف الثاني من المئة السابعة للميلاد[٣] ، بل أن اليونانية كانت مهجورة منها في المئة التاسعة عصر الكندي[٤] ، فكان على الراغب فيها ان يشخص الى بلاد الروم ويحكمها على اصحابها ، كما فعل حنين بن اسحق ، وقسطا بن لوقا المعاصران للكندي[٥] . ولم يذكر أحد من مؤرخي العرب كابن النديم وابن ابي أصيبعة والقفطي ، ان الكندي فعل ذلك . ثانياً : لو كان ملمّاً باليونانية لما نقل له منها اسطاث كتاب الحروف لارسطو كقول ابن النديم[٦] . قال الاستاذ محمد عبدالهادي أبو ريدة « واذا كنا نجد ان الكندي في بعض رسائله .. يذكر معاني بعض الاسماء اليونانية المعربة أو ما يدل على معرفته ببعض المقابلات اليونانية لكلمات عربية ، فان هذا ليس له كبير دلالة على معرفته باليونانية »[٧] .

وأما السريانية فلم يكن متمكناً منها كما يظهر اولاً : من قول الاهواني عن كتاب ثابت بن قـرّة الحراني في « الوقفات التي في السكون الذي بين حركتي الشريان المتضادتين » ، انه صنفه سريانياً لانه أومأ فيه الى الرد على الكندي[٨] . ثانياً : من قول ابن النديم عن بطليموس « وله كتاب جغرافية في المعمور وصفة الارض .. نُقل للكندي نقلاً رديئاً ثم نقله ثابت الى العربي نقلاً جيداً »[٩] ، وكان

---

(٣) اللؤلؤ المنثور للبطريرك افرام برصوم طبعة اولى ص ١٥٦ .
(٤) زبدة الصحائف لنوفل نوفل ص ٤٧ .
(٥) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ٢٥٠ و ٢٥٩ .
(٦) الفهرست ص ٣٥٢ .
(٧) مقدمته لرسائل الكندي الفلسفية ص ٩
(٨) مقدمته لكتاب الكندي الى المعتصم بالله ص ٢٨ .
(٩) الفهرست ص ٢٨٥ .

الكتاب سريانياً كما ذكر القفطي (١٠) وربما كانت له معرفة سطحية بها ، كما ألمّ بها بعدئذ أبو نصر الفارابي (١١) تلميذ العالمين السريانيين البارزين يوحنا بن حيلان وأبي يحيى المروزي (١٢) ، وأستاذ الشيخ الفيلسوف يحيى بن عدي السرياني (١٣) .

وأصدق ما يقال في الكندي من هـذه الناحية ، انه لخص ترجمات غامضة وأوضحها كما فعل مثلاً بكتاب « أتولوجيا » أي الربوبية المنحول ارسطو ، تفسير برفيريوس الصوري ، الذي ترجمه عبدالمسيح بن عبـدالله بن ناعمة الحمصي حوالي سنة ٢٢٦ هـ ثم راجعه الكندي وأصلحه لأحمد بن المعتصم بالله (١٤) . وابن ناعمة هذا سرياني ومن النقلة من السريانية الى العربية (١٥) . قال أبو ريدة « يظهر ان المقصود بالترجمة فيما يتعلق بالكندي هو معناها الواسع ، أعني عرض الآراء الفلسفية الاجنبية بلغة العرب ، ذلك انه لا يُذكر أن الكندي نقَل من الكتب ما يبرر ان نعتبره من ضمن المترجمين » (١٦) وقال محمد لطفي جمعـة « كان العصر العباسي الاول عصر الغرس وبذر البزور ، فجاء العصر الثاني للحصاد وجني الثمار ، ويجدر بنا ان نردّ الفضـل الى ذويه ونعترف بسرور ومن طيب خاطر بأن الذين اشتغلوا بنقل العلم والفلسفة في العصر العباسي الاول ، كان معظمهم من أدباء أهل الكتاب

---

(١٠) اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٦٩

(١١) معـالم الفكر العربي للدكتور كمال اليازجي ص ١٧٨ .

(١٢) فيه ص ١٧٨ ومختصر الدول ص ٢٩٥ والفهرست ص ٣٦٩ .

(١٣) الفهرست ص ٣٦٩ ومختصر الدول ص ٢٩٧

(١٤) تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب ص ٣ والآداب السامية للابراشي ص ٧٥

(١٥) اللؤلؤ المنثور ص ١٥٩

(١٦) مقدمته لرسائل الكندي ص ٩

من غير المسلمين . فلما تمّ النقل تقدم المسلمون الى العمل فكان أسبقهم يعقوب بن اسحق الكندي .. وهو من ابناء القرن الثالث الهجري»[١٧]. وقد بيَّن ابن النديم عند سرده كتب ارسطو المنقولة الى العربية ، ان فيلسوفنا انما كان ملخصاً مفسراً شارحاً وموضحاً لا مترجماً من لغة الى اخرى ، وهو لعمري عمل شاق لا يستطيع النهوض به الا من كان متبحراً في العلوم كالكندي ، واليكم بعضاً منها :

١ – قاطيغورياس (المقولات) : بنقل حنين بن اسحق ، وله مختصرات وجوامع مشجرة وغير مشجرة لجماعة منهم الكندي .

٢ – باري أرمينياس (العبارة) : نقلُ حنين الى السرياني واسحق الى العربي ، ومن المختصرات ، الكندي .

٣ – أنالوطيقا الاولى (تحليل القياس) : نقله ثاودورس الى العربي ، ويقال عرضَه على حنين فأصلحه ، ونَقَل حنين قطعة منه الى السرياني ، ونَقَل اسحق الباقي الى السرياني ، وللكندي تفسير هذا الكتاب من جملة المفسرين .

٤ – أبوديقطيقا (البرهان) : وهو أنالوطيقا الثاني ، نقلَ حنين بعضه الى السرياني ونقلَ اسحق الكل الى السرياني . ونقلَ أبو بشر متى بن يونس نقْلَ اسحق الى العربي ، وشرحه الكندي من جملة الشارحين .

٥ – سوفسطيقا (المغالطة) : نقله ابن ناعمة وأبو بشر متى الى السرياني ، ونقله يحيى بن عدي الى العربي ... ونقلَ ابراهيم بن بكوس

---

(١٧) تاريخ فلاسفة الاسلام ، المقدمة ل .

ما نقله ابن ناعمة الى العربي عن طريق الاصـــلاح . وللكندي تفسير هذا الكتاب .

٦ – أبوطيقا (الشعر) : نقله أبو بشر متى من السرياني الى العربي ، ونقـله يحيى بن عدي .. وللكندي مختصر في هـذا الكتاب .

٧ – كتاب الحروف (ويعرف بالالهيات) .. وقد يوجد حرف « نو » باليونانية بتفسير الأسكندر ، وهذه الحروف نقلهـــا اسطاث للكندي .

٨ – كتاب أتولوجيا (الربوبية) فسره الكندي (١٨) .

قال العلامة ابن العبري « وجدتُ في كتاب عتيق سرياني مجهول أن اوطولوقيوس المهندس اليوناني كان مشهوراً في وقتـه ، والموجود من كتبه الآن كتاب الكرة المتحركة ، اصلاح الكندي » (١٩) .

وعلى هذا نستطيع ان نجزم بأن ما لخصـه وفسره وأوضحه كان استناداً الى الترجمات السريانية التي قام بها علماء السريان في بغداد ، ذلك ان علماء السريان لم يدعوا صنفاً من العلوم اليونانية دون ترجمته الى السريانية او العربية (٢٠). وكانت السريانية يومذاك مورداً عـذباً للدراسات المنطقية والفلسفية والطبية وغيرهـا ، اخذها عن اصحابها في بغداد خاصة جماعة من علماء العرب حتى المئة السادسة للهجرة كما روى

---

(١٨) الفهرست ص ٣٤٨ ــ ٣٥٢

(١٩) تاريخ مختصر الدول ص ٧٦

(٢٠) اللؤلؤ المنثور ص ١٦٠ و١٦١ والآداب السـامية للابراشي ص ٧٠ و ٧٣ والفهرست ص ٣٤٢

مؤرخو العرب الثقات (٢١). بل اذا درسنا بعض آراء الكندي اتضح لنا مدى علاقته بتلك الترجمات والمصنفات السريانية ، واذا كان قد تخلل أدبه بعض الغموض والتواء التعبير كقول الاهواني ، فلاعتماده احياناً بعض الترجمات الركيكة . ذلك ان بعض المترجمين السريانيين في القرن التاسع لم يكونوا يُحكمون العربية وكانت تغلبُ على ترجماتهم مسحة سريانية . واليكم بيان ذلك :

اولاً ــ ان الكندي يستعمل لفظة « إيسْ» للدلالة على الموجود ، ويجمعها « إيسات » ويشتق منها « الإيسية » للدلالة على حالة الوجود ، وفعل أيَّس يُؤيِّس بمعنى أوجد الشيء من العدم ، ومصدر « التأييس » واسم الفاعل الله « المؤيِّس » واسم المفعول « المؤيَّس » ، فيصبح تحديد الفعل الابداعي الحقيقي عنده « تأييس الإيسات عن ليْس » (٢٢) . ان لفظة « إيسْ » سريانية ومعناها يوجد (٢٣) ومنها Eithio أي كائن موجود من ذاته وهي « بالثاء » لا « بالسين » . غير ان هنالك بعض السريانيين حتى اليوم يصعب عليهم لفظة « ثاء » فيلفظونها « سينا » . وقد وردت بهذا اللفظ في سفر التكوين على لسان احدى زوجات يعقوب عند تسميتها احد ابنائها بالسريانية فقالت « إيساكر » أي أجري موجود (٢٤). وكثيراً ما استعمل الكتبة السريانيون هذه اللفظة ܐܝܬ ܐܝܬܘܗܝ ܐܝܬܝܐ Eith eithow eithio عند تعريفهم الله كقول

---

(٢١) طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ٢٢١ ــ ٢٢٣ والفهرست ص ٢٧٠ .

(٢٢) رسائل الكندي الفلسفية ص ١٨٢ و ١٨٣ .

(٢٣) ولئن وجدت هذه اللفظة في بعض اللغات الاجنبية بهذا المعنى الا انها جامدة لا كالسريانية التي استعمل الكندي مشتقات ايس وفقاً لها .

(٢٤) تكوين ٣٠ : ١٨

الشماس في الكنيسة السريانية ܐܝܟܢܐ ܕܐܝܬܘܗܝ ܗܘܐ ܘܐܝܬܘܗܝ ܘܡܩܛܪ ܠܕܪܕܪܝܢ Aycano dithow wo withow womkatar ldordoreen أي « كما انه لم يزل ولا يزال موجوداً هكذا سيبقى الى ابد الآبدين » وقول مار سويريوس بن كيفا مطران الموصل في القرن التاسع ܐܠܗܐ ܡܢ ܐܝܬܘܗܝ ܗܘܐ ܘܐܝܬܘܗܝ ܐܢܗܘܝ ܐܝܬܘܗܝ ܡܠܘܢ ܕܝܢ ܐܝܬܘܗܝ ܐܡܝܢܐܝܬ ܕܠܐ ܫܘܪܝܐ ܘܠܐ ܫܘܠܡܐ Aloho man eithow wo withow onehway eithow maloon dein eithow aminoeith dlo shooroyo wlo shoolomo (٢٥) ومعناه ان الله كان لم يزل موجوداً ولا يزال موجوداً وسيبقى موجوداً ، كيف لا وهو موجود ابداً بدون بداية ولا نهـاية . ويقابلها قول الكندي « ان الله جل ثناؤه لم يزل ولا يزال « إيسْ » أبداً والمؤيس الكل عن لَيس » وما زال بطاركتنا يصدرون منشوراتهم العامة بهذه العبارة Bshem eithio ܒܫܡ ܐܝܬܝܐ ܡܬܘܡܝܐ ܐܠܨܝ ܐܝܬܘܬܐ mthoumoyo olsoy eithoutho أي باسم الازلي او الموجود والكائن السرمدي الواجب الوجود . فاللفظة إذن سريانية . ومن الغريب ان يقول ابو ريدة في هذا « ان الكندي ينفرد بأنه اذ يحاول وضع الاصطلاح ، يعمد احيانا الى إحياء كلمات عربية قديمة قد اوشكت ان تسقط من الاستعمال ، مثل كلمة « الإِيسْ » للدلالة على الموجود بالاجمال » (٢٦) .

---

(٢٥) كتابه في خلقة الملائكة ، الفصل الاول .

(٢٦) مقدمته وتعليقه على رسائل الكندي الفلسفية ص ٢٠ و ٢١ و ١٨٢

ثانياً ـ يستعمل الكندي لفظة « لَيس » (باسكان السين) للدلالة على العدم كقوله « ان الفعل الحق الاول تأييس الإيسات عن لَيسْ . وهذا الفعل بَيّن انه خاصة لله تعالى الذي هو غاية كل علة ، فان تأييس الإيسات عن لَيسْ ، ليس لغيره »[٢٧] . وهذه ايضاً سريانية بحتة ܠܝܬ او ܠܝܬ Leit او Leith اي لايوجد ، والمصدر ܠܝܬܝܘܬܐ Laytoyoutho اي العدم ونقيض الوجود وكثيراً ما وردت في المصنفات اللاهوتية لكتبة السريان . وهي الاخرى بالثاء لا بالسين . وهنا ايضاً يحاول ابو ريدة اثبات عربيتها قائلاً : انها مركبة من لا ومن إيسْ ، اعني لا إيس . وهذا ما نقوله نحن ايضاً في اصل اللفظة السريانية[٢٨]. والاظهر ان الكندي اقتبس « إيسْ ولَيسْ » من اللهجة السريانية العامية .

ثالثاً ـ انه يستعمل لفظ « الهُوِيّة » بمعنى الوجود الجزئي المتعيَّن تحت الحس في مقابل الحقيقة والماهية المعقولتين ، ويصوغ فعل يُهَوّي بمعنى يوجد ، ويسمي الله تعالى « مُهَوّي الهُوِيّات عن ليسْ » اعني موجد الموجودات ، ويستعمل الفعل المطاوع اللازم فيقول عن الشيء انه يتَهَوّى اي يخرج الى الوجود المتعين ، كما يصف هذا الشيء الخارج بأنه المُتهوّي ، ويصف هذا الخروج بأنه التهَوّي بحيث يمكن من هذا كله صوغ عبارات مثل « ان الشيء يتهَوّى إيسا عن ليسْ بفعل المؤيِّس »[٢٩] . واليك قوله : « فإذن تهَوّي كل كثير هو

---

(٢٧) رسائل الكندي الفلسفية ص١٨٢ و١٨٣

(٢٨) قاموس دليل الراغبين في لغة الآراميين لاوجين منا ص ١٧ و ٣٧٧

(٢٩) رسائل الكندي الفلسفية ص ٢١

بالوحدة ، فان لم يكن وحدة فلا هُوِيَّة للكثير بتة ، فإذن كل مُتهوّ
انما هو انفعال يوجِد ما لم يكن ، فإذن فيضُ الوحدة عن الواحد
الحق الاول هو تهوّي كل محسوس وما يلحق بالمحسوس ، فيوجِد
كل واحد منها اذا تهوّى بهُويّته إياها ، فإذن علة التهوّي هي من
الواحد الحق الذي لم يُفد الوحدة من مفيد ، بل هو بذاته واحد ،
والذي يُهوّى ليس هو لم يزل ، والذي هو لم يزل مُبدَع ، اي تهوّيه
عن علة ، فالذي يُهوّى مُبدَع ، واذ كانت علة التهوّي الواحد الحق
الاول ، فعلة الابداع هو الواحد الحق الاول ، والعلة التي منها مبدأ
الحركة ، اعني المحرِّك مبدأ الحركة ، هي الفاعل ، فالواحد الحق
الاول ، اذ هو علة مبدأ حركة التهوّي - اي الانفعال - فهو المبدع
جميع المُتهوّيات ، فاذ لا هُويّة الا بما فيها من الوحدة ، وتوحّدها
هو تهوّيها .. (٣٠) . قال ابو ريدة ومن نقل عنه « يسمح الكندي
لنفسه بحرية في استعمال اللغة العربية اكثر مما تقدم ، فيضيف اداة
التعريف الى الضمير الغائب المفرد « هو » .. ومن لفظ « الهو » يشتق
لفظ « الهُوِيّة » (٣١) . والصحيح ان الكندي اخذ هذا اللفظ ومشتقاته
من السريانية من فعل ܗܘܐ Hwo صار ووجد ܗܘܝܐ Hwoyo
صيرورة ووجود . ومنها ܗܘܐ Hawi و ܐܗܘܝ Ahwi صيّر
وأوجد ܢܗܘܐ Nahway يصيّر ويوجِد ܢܬܬܗܘܐ Nettahway
يخرج الى الوجود ܡܬܬܗܘܝܢܐ Mettahoyono الشيء الخارج الى

---

(٣٠) رسائل الكندي الفلسفية ص ١١٨ و ١١٩

(٣١) فيه ص ٢١ والفلسفة العربية في الشرق تأليف خليل الجر وحنا الفاخوري ص ٨٧

الوجـــود ܡܬܗܘܝܢܘܬܐ Mettahoyonootho الخـــروج الى الوجود [٣٢]. والارجح ان الكندي اقتبس هذا اللفظ من اللهجة السريانية الشرقية التي تعرف اليوم بالنسطورية او الكلدانية لانه بالفتحة والشدة ܗܘܝܐ Hwayya وقد استهجن هـذا الاصطلاح ابو ريدة نفسه قائلًا : ولا نعرف مِن المترجمين ، ولا من الفلاسـفة بعد الكندي مَن يضع الاصطلاح ويستعمله على هـذا النحو الفريد المدهش ، والذي لو قرأه غـير المتخصص لاستهجنه او لمـا فهم منه شيئاً » [٣٣] .

رابعاً ـ انه يستعمل لفظـــة «قُنيَة» بمعنى المَلَكة كقوله «قُنيَةً للنفس». واللفظة سريانية لا عربية وهي ܩܢܝܘܬܐ Qanoyoutho اي الملَكة كما اثبتتهـا المعاجم السريانية ـ العربية واستعملها الكتاب السريان [٣٤] ، ولا سيما ابن كيفا في كتاب النفس ، فيما انهـا لا تعطي هذا المعنى في المعاجم العربية . وكذلك يستعمل لفظة « مائية » بدلاً من « ماهيـة » ،[٣٥] وهي ســريانية ܡܢܝܘܬܐ Monoyoutho وقد استعملها الكندي طبقاً للهجة السريانية العامية . ولفظة « الكُثْماة » بمعنى الوسـخ كقوله « اذا كانـ ملطخ البدن بالكُثْماة » [٣٦] . وهي سـريانية ܟܘܬܡܬܐ Couthmotho

خامساً ـ انه يستعمل لفظـة « إنـّية » بمعنى الوجود ، ومن

---

(٣٢) قاموس دليل الراغبين ص ١٧٠ و ١٧١

(٣٣) مقدمته لرسائل الكندي الفلسفية ص ٢١

(٣٤) راجع كتاب النفس لابن كيفا

(٣٥) رسائل الكندي الفلسفية .

(٣٦) نشرها ابو ريدة اكماة وهي تصحيف الكثماة فيه ٢٧٩ .

الغريب ان يصرح بعض الكتاب المعاصرين بعربيتها او بيونانيتها اجتهاداً منهم ليس إلا . قال الاستاذ يوحنا قمير « الإنيّة » معنى هذه الكلمة واضح تقريباً ، وهو يدل على وجود الشيء وحقيقته . على ان ضبط شكلها واصلها أمر مختلف عليه ، ففي ما خص الشكل ، ضبطت هذه الكلمة آنيّة وإنيّة ، وفي ما خص الاصل ، قيل انها من إنْ العربية او من إن ، وقيل انها من اللفظ اليوناني أن اي الوجود او الموجود او أون اي الكائن[٣٧]. اما نحن فنقول انها سريانية ܐܝܢܝܘܬܐ Aynoyoutho التي ترجمت أَينيّة في قاموس الحسن بن بهلول في القرن العاشر ، او كيفية ، نوعية ، وصفية في المعاجم الاخرى[٣٨] . وقد وردت بين التعابير الفلسفية في المؤلفات السريانية ، ومنها كتاب النفس لابن كيفا المعاصر للكندي[٣٩] .

فاستعمال الكندي هذه المصطلحات السريانية البحتة ، يدل دلالة واضحة على انه اتصل بالمصنفات والترجمات السريانية لا باليونانية مباشرة . ومما يسترعي الانتباه ان المصطلحات الفلسفية اليونانية التي اوردها الى جانب العربية قد وردت كذلك في الترجمات السريانية نفسها ، كالفلسفة والفنطاسيا والاسطقس والهيولى[٤٠] .

سادساً — انه يبين في رسالته في حدود الاشياء ورسومها « ان في العالم تدبيراً اشبه بتدبير النفس للبدن ويقول « ولهذه العلة سمى الحكماء الانسان العالم الاصغر »[٤١]. وفي رسالته الى احمد بن المعتصم في

---

(٣٧) الكندي حاشية ص ٢٨

(٣٨) قاموس دليل الراغبين ص ١٧

(٣٩) الفصل الرابع

(٤٠) راجع كتاب النفس لابن كيفا

(٤١) رسائل الكندي الفلسفية ص ١٧٣

الابانة عن سجود الجرم الاقصى وطاعته لله عز وجل يقول « سمى ذوو التمييز من حكماء القدماء من غير اهل لساننا ، الانسان عالماً صغيراً ، اذ فيه جميع القوى التي هي موجودة في الكل »[٤٢]. لا شك في انه يشير الى علماء السريان وبنوع خاص الى مار احودامه من مدينة بلد اسقف العرب فجاثليق تكريت ، منوهاً ضمناً بكتابه الموسوم بـ « الانسان العالم الاصغر »[٤٣] وملخصاً عنه ، اذ لم يُذكر ان غيره قال بهذه النظرية التي قال بها في العصور المتأخرة هاردر الالماني . اما مار احودامه صاحب هذه النظرية فعاش في القرن السادس للميلاد اي قبل الكندي بثلاثة قرون .

سابعاً — للكندي رسالة في استعمال الحساب الهندي[٤٤] . وفي السريانية مقالة نفيسة بهذا الموضوع دبجها مار ساويرا سابوخت الرياضي في الاسطرلاب ، وردت فيها الارقام الهندية ، اي الارقام الجارية اليوم بين العرب من الواحد الى العشرة والتي عليها مبنى بقية الاعداد . وقد اطرى مؤلفها هذه الطريقة لحساب الاعداد مبيناً ان اهل الهند يفضلون فيها على اليونان . وقد نقل الاب نو الفرنسي الى الفرنسية هذه المقالة ونشرها سنة ١٨٨٩ عن مخطوطة سريانية في خزانة باريس تحت رقم ٣٤٦ ، ومنها نستنتج اولاً : ان السريان عرفوا هذه الارقام نيفاً ومئة سنة قبل العرب ، ذلك ان ساويرا سابوخت عاش في أواسط القرن السابع للميلاد ، وان العرب انما عرفوها في القرن التاسع . ثانياً : ان العرب لم ينقلوا الارقام الهندية من بلادها رأساً ، وانما

---

(٤٢) رسائل الكندي الفلسفية ص ٢٦٠ ـ ٢٦١

(٤٣) اللؤلؤ المنثور ص ١٥٨ و ٢٦٠

(٤٤) الفهرست ص ٣٥٩

اخذوها عن السريان [٤٥] .

ثامناً — اما نظريته في مركز النفس الاصلي فمقتبسة من كتاب « الربوبية » لفلوطين . وقد مر معنا ان هذا الكتاب كان منقولاً الى السريانية قبل عصر الكندي بمدة بعيدة ، وان عبدالمسيح بن ناعمة الحمصي السرياني هو الذي نقله من السريانية الى العربية ، فراجعه الكندي واصلحه لاحمد بن المعتصم ، وكانت له آراء بارزة في الفلسفة الاسلامية عامة وفلسفة التصوف خاصة [٤٦] .

تاسعاً — ذكر ابو ريدة ان مذاهب الحرانيين الكلدانيين والصابئة كانت مصادر اعطت المعتزلة والكندي ايضاً بعض النزعات الفلسفية . واستطرد قائلاً : ويذكر الكندي انه قرأ للصابئة كتاباً في التوحيد ينسبونه الى « هرمس » وانه يعتبر هذا الكتاب على غاية من التقانة في التوحيد ، لا يجد الفيلسوف اذا اتعب نفسه مندوحة عن مقالاته والقول بها [٤٧]. فاذا صح القول يكون كتابه في افتراق الملل في التوحيد ، وانهم مجمعون على التوحيد كما ذكر ابن النديم البغدادي [٤٨] مبنياً على هذا ، ويكون الكندي بالتالي قد تأثر بآراء الصابئة الفلسفية ، لا سيما وقد كان علماؤهم : ثابت بن قرّة وابنه وغيرهما من كبار العلماء والتراجمة المعاصرين له . ولغة الصابئة الحرانية كما لا يخفى هي السريانية بالذات ، وبها كتب علماؤها منهم ثابت بن قرة الآنف الذكر كما المعنا .

---

(٤٥) راجع مجلة المشرق البيروتية مجلد ١٤ سنة ١٩١١ ص ٢٣٩ ومجلة الشرق المسيحي الفرنسية سنة ١٩١٠ ص ٢٥٠ .

(٤٦) الآداب السامية للابراشي ص ٧٥

(٤٧) مقدمته لرسائل الكندي الفلسفية ص ٣٨ — ٤١ .

(٤٨) الفهرست ص ٣٦٣

هكذا اتصل فيلسوفنا بالسريانية وترجماتها ، واغترف منها ما اغترف . ولا غضاضة في هذا ، لا سيما متى علمنا ان العرب والسريان قد كوّنوا أمة واحدة منذ عهد سحيق ، وان العلاقات الوثقى ما بين السريان والعرب في عصر السريان الذهبي ، قد جعلت كثيراً من المدن العربية اصلًا ان تتسم بالطابع السرياني ، ومنها الحيرة ܚܝܪܬܐ Hirto (القصر) وتكريت ܬܓܪܝܬ Tegrit (التجارة) والكوفة ܟܘܒܐ Couva (الشوكة وهي عاقولا) والكرخ (المدينة المدورة) . وها هو ذا الكندي نفسه يعترف بفضل الذين سبقوه قائلًا « فقد كانوا لنا انساباً وشركاء في ما افادونا من ثمار فكرهم ؛ التي صارت لنا سبلًا وآلات مؤدية الى علم كثير .. فانهم لو لم يكونوا لم يجتمع لنا هذه الاوائل الحقية التي بها تخرجنا الى الاواخر من مطلوباتنا الخفية . فان ذلك انما اجتمع في الاعصار السالفة المتقادمة عصراً بعد عصر ، الى زماننا هذا » . ويسميهم « المبرزين من المتفلسفين قبلنا من غير اهل لساننا »(٤٩).

واذا كان الكندي قد تأثر بالسريانية وترجماتها ، فالسريانية ايضاً بدورها تأثرت بمصنفاته ، ولا بدع ، فان الناس تعير وتستعير ، والامم تأخذ وتعطي في كل زمان(٥٠) . ومن اهم آراء الكندي التي اصطبغت بها السريانية ، نظريته في مركز النفس الاصلي قبل اتحادها بالبدن . فقد مر معنا ان الكندي راجع كتاب الربوبية المنحول ارسطو وتأثر بآرائه الفلسفية ، خلاصتها « ان مركز النفس الاصلي

---

(٤٩) رسائل الكندي الفلسفية ص ١٠٢

(٥٠) احاديث في اللغة للاستاذ النشاشيبي في مجلة المجمع العلمي بدمشق مج ١٩ ص ١٧ .

هو وسط الكون العام ، والآله من فوقها ، والطبيعة من تحتها والعقل يحملها من جوار ربها ، ويُقرّها في المادة ، فتبقى في الجسم الى اجل معيّن ثم تصعد ثانية الى مكانها الاول . فحياة النفس تشمل الادوار الثلاثة ، والعقل هو الاصل ، وهو الكل والكل فيه واحد . والنفس عقل ايضاً ما دامت بعيدة عن الجسم ، وعقل نسبي مدة وجودها فيه باعتبار ما كانت ، وما ستؤول اليه . » اي بقوة الامل ، او بصورة الشوق » . لانها وهي في سجنها المادي تصبو الى فوق الى المحل الارفع الذي لا يُدرَك ولا يُنعت . فتحيا حياتها الاولى ، حياة الغبطة والنور (٥١) . وقد لخص هذه النظرية بطريركنا ابن المعدني في القرن الثالث عشر في قصيدته السريانية الرائعة في النفس (٥٢) . والاظهر انه طبع على غرار الشيخ ابن سينا في قصيدته العصماء في النفس اثناء اقامته في بغداد حيث برز بلغة الضاد على احد كبار علماء المسلمين (٥٣). ذلك اننا لا نجد اثراً لهذه النظرية في مصنفات علماء السريان الذين سبقوا عصر الكندي او الذين عاصروه ، كمار موسى بن كيفا الآنف الذكر ، الذين يُصرّحون بأن النفس تُخلق مع البدن ، لا قبله ولا بعده (٥٤).

وللكندي نظرية اخرى في النفس غير الطاهرة ، خلاصتها ان سعادة النفس هي في ما ترى وتعلم اذا فارقت البدن . على ان هذا العلم لا يتم لها الا اذا كانت مُعرضة عن الشهوة والغضب ، طاهرة نقية ، شأنها شأن المرآة لا ينعكس فيها نور الشمس الا اذا كانت صقيلة .

---

(٥١) الآداب السامية للابراشي ص ٧٥ــ٧٦
(٥٢) راجع ديوانه السرياني طبعة القدس .
(٥٣) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ٣ ص ٤١١ .
(٥٤) كتاب النفس لابن كيفا الفصل السادس والثلاثون .

ثم يورد قولاً لفلوطين « ان النفس اذا تركت البدن وهي غير طاهرة ، صارت من فلَـك الى فلَـك ، من فلك القمر الى فلك عطارد ، الى غيرهما من الافلاك ، تتهذب في كل منهـا مدة من الزمن ، حتى اذا صارت الى الفلك الاعلى نقيت غاية النقاء وتطهرت من الدنس وارتفعت الى عالم العقل وعلمت كل شيء ، ورأت الباري وجلَّت في ملكوته ، وتعود الى جسمها « بالبعث » [٥٥] . وهذه النظرية ايضاً لا اثر لهـا في مصنفات علماء السريان حتى الذين عاصروا الكندي . فابن كيفا مثـلًا يؤيد روحانية النفس وعِلمها وذاكرتها بعد انفصالها عن البدن ، ولكنه يُصرّ على انها لا تخطىء ولا تتبرر ولا تتوب ، ولا يمكن ان تُقبل لها توبة ان هي فعلت ذلك [٥٦] . بيد اننا نجـد هـذه النظرية مبلورة في كتابي الاشــعة ومنارة الاقداس للعلامة ابن العبري في القرن الثالث عشر . فعند ابن العبري ان النفس الصالحة التي لم تسبيها شهوة الجسد ، تستحق حـال انتقالها منه ملكوت السماء اي عشرة الملائكة . واذا كانت قد شغفت بشهوة الجسد كنفس اللص الذي آمن مثـلًا ، تُطلق الى جنة عدن ، وهناك بعد ان تتفه شهواتهـا المادية رويداً رويداً ، ترتفع الى الملكوت يوم البعث [٥٧] .

وعلى هذا يؤكد ابن العبري ان نفوس المؤمنين الطاهرة تحظى بسرور روحي عند شعورها بالصلوات المقامة من اجلها ، اما غير الطاهرة ،

---

(٥٥) رسائل الكندي الفلسفية ص ٢٧٥ ـ ٢٧٨ .

(٥٦) كتاب النفس لابن كيفا الفصـل السادس والخمسون .

(٥٧) كتاب الاشعة ، الباب السادس ، القسم الخامس ، الفصل الثالث .

فعند شعورها بها ، تبذل قصارى جهدها في تطهير مراياها من الادران اللاصقة بها (٥٨) .

اما فلسفة الكندي التصوفية فنرى آثارها في كتاب سرياني موسوم بـ « علة كل العالم » وضعه اسقف رهاوي سرياني مغمور الاسم من علماء القرن العاشر ، بحث فيه عن معرفة الله بالبراهين العقلية والطبيعية دون النقلية ، وتكلم عن العالمين السموي والارضي .

هذا ما عنّ لنا بحثه في ما يتعلق بفيلسوف العرب والسريانية ، آملين بأن يلقى ترحيباً من ذوي الاختصاص . واننا نجعل مسك الختام شكر رئيس واعضاء لجنة هذه الاحتفالات ، والسلام على العلم والعلماء .

---

(٥٨) كتاب الاشعة ، الباب السابع ، القسم الثالث ، الفصل الثالث ، ومنارة الاقداس ، الركن السادس ، القسم الثاني ، الفصل الخامس ، المقصد الرابع .